نقد نظرية التحليل النفسي
(قراءة في كتاب إيريك فروم)

د. آمال علاوشيش
جامعة الجزائر 2
angelguarde1972@gmail.com

ملخص:

عرفت نظرية التحليل النفسي رواجاً كبيراً في عصر كان فيه الإنسان الغربي يعيش أبشع معاناةٍ عرفها عبر تاريخه، حيث وجد في مفاهيمها بعض العزاء وهي الّتي فسرت السّلوك البشري بإعادته إلى مرحلة الطفولة الأولى مستندة إلى دراسات بعض الحالات التي راحت تحاول تعميمها، الوضع الّذي أفقدها في نظر الكثيرين القيمة العلمية الّتي تستحقها، وليكُون الفيلسوف الألماني المعاصر إيريك فروم من أبرز منتقديها نظرا لما انطوت عليه هذه النّظرية من إجحافاتٍ ومبالغاتٍ لقيامها على مجرّد فرضيات.

الكلمات المفتاحية: التحليل النفسي، فرويد، الغرائز، المكبوت، القلق.

Abstract:

Psychoanalytic theory became very popular in an era when the Western person was experiencing the worst suffering known throughout his history, where he found some solace in its concepts, which explained human behavior by returning it to the early childhood stage based on the studies of some cases that were trying to generalize, the situation that lost it in the eyes of The scientific value it deserves, and the contemporary German philosopher Erich Fromm is one of its most prominent critics due to the unfairness and exaggeration of this theory for being based on mere hypotheses.

Key words: Psychoanalysis, Freud, instincts, repressed, anxiety.

مقدمة:

عرض:

يلعب التّحليل النّفسي في نظر فروم دوراً لا يستهان به في حياة الفرد خاصّة في "عصر القلق"[1] كما يسمّيه، هذا الأسلوب في العلاج النّفسي عرف ازدهاراً مهولاً ومفاجئاً في آنٍ واحد، فقد أفرز عصر القلق- خصوصاً في الولايات المتّحدة الأمريكيّة- شعوراً رهيباً بالوحدة خاصّة مع انهيار الدّين وزعزعة قيمه وكذلك شعور الإنسان المتزايد بالاستلاب في مجتمع صناعيّ متحضّر منظّم أدقّ التّنظيم، إنسان يعيش واقعا مزيّفا بحاجاتٍ كاذبةٍ راح

---

[1] إيريك فروم، **أزمة التّحليل النّفسي**، ترجمة: طلال العتريسي، (بيروت: المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع،1988)، ط1، ص 8.

يسعى على إشباعها لوهمه بضرورتها ومنفعتها، واقعٌ كان يتفاقم ويزداد حدّة والإنسان ضحيّته الأولى. هذا ما جعل التّحليل النّفسي في نظر فروم يعرف ازدهاراً لأنّ الإنسان وجد فيه العزاء والسّلوى أو على الأقلّ بعض الطمأنينة في عالمٍ مضطربٍ.

هكذا عرفت الكنبة رواجا حتّى أنّه صار يدفع للجلوس عليها مبالغ ضخمة مكلّفة من النّاحية الاقتصادية. لقد كان الإنسان الغربي يعيش واقعاً صناعياً وأفرغه نفسياً وسلبه حرّيته ووعيه الحقيقي فحوّله إلى أداةٍ واستعبده بأن جعل منه آلة تشبه على حدٍ بعيدٍ تشبه تعامله مع الملكية، خاصّة وأنّ فرويد قد اكتشف أسرار الحياة الباطنية من لاوعي وعقدة أوديب وغيرها، هذا الواقع الّذي يصفه فروم يتعلّق لا بالمرضى الحقيقيين إنّما بمن يشكو من استياء عام، وهذه المهمّة لم تكن بالبسيطة لأنّ الأمر كان يتطلّب من المحلّلين أنفسهم أن يكونوا ممّن لم تستغرقهم تلك الحياة بمساوئها وسلبياتها، فكان هناك كما يقول فروم نوع من الاتّفاق الضّمني أو اللّطيف[1] بين المحلّل ومريضه، لأنّ الأوّل يجد في الثّاني مصدراً للاسترزاق فيكون دخله الشّهري مضموناً، و المريض يجد في طبيبه مصدراً للعزاء والشّعور بالاستقرار.

هذه نقطة أو عامل واحد فقط من بين أسباب عديدة سبّبت أزمة لهذه الممارسة العلاجية-التّحليل النّفسي- في نظر فروم وهو سببٌ سطحيٌ جداً، أمّا الحجّة الرّئيسية فتكمن في تحويل التّحليل النّفسي من نظرية جذرية إلى نظريةٍ امتثالية[2].

والمعنى أنّ التّحليل النّفسي كان يفترض فيه بعد الحرب العالمية الأولى أن يواكب التطوّرات والتّعقيدات الحاصلة في الواقع خاصّة وأنّ فرويد هاجم معقل الوعي الإنساني وبرهن أن كلّ ما نعانيه أو كلّ ما هو حقيقي لا يقع ضمن وعينا،فقد أصبح بوسعنا أن نعرف المقاصد الخفيّة للإنسان، لا تلك الّتي يفصح عنها بل تلك الّتي لا يصرّح بها إطلاقا، فقد كان فرويد مفكّرا جذريا قامت أبحاثه لتركّز على علم النّفس الفردي،فبيّن محدّدات ودوافع السّلوك الإنساني مركّزا على غرائز حفظ الذّات والغرائز الجنسية، هذه الغريزة الّتي يقصد بها جميع التوتّرات المشروطة جسديا والمرتبطة بالمناطق الشّهوية الّتي تتطلّب تفريغا عاما للّذة[3] فيكون مبدأ اللّذة هو أساس النّشاط النّفسي.

هذه الغرائز كما أكّد عليه فرويد يمكن أن تكبت وتتسامى في الآن معا، وذلك من خلال إشباع غير مباشر للهدف الجنسي الأصلي ولو عن طريق الإيهامات أو بعض الانحرافات.

هذا وبالإضافة إلى أنّ النّقد الفرويدي للمجتمع انحصر في الجنسية المقموعة واعتقاده أنّه يشكّل آخر شكل من التطوّر الإنساني. ومن السّلبيات الّتي وقع فيها التّحليل النّفسي الصّراعات الّتي حصلت بين أتباع فرويد أمثال فرينيزي ورانك ورايش وغيرهم ممّا جعل البعض ينسحب من الحركة التحليلية وكذلك تجاهل البعض من المحلّلين لبعض ملاحظاتهم العيادية الّتي أغفلها فرويد واكتفاءهم بما قرّره المعلّم، مثل تجاهل العدوانية وإهمال الصّلة المشتركة الّتي تكون للأبناء من الجنسين بأمّهاتهم قبل عقدة أوديب. هؤلاء شكّلوا الامتثاليين.

وتنبغي الإشارة في هذا السّياق إلى أنّ التّحليل النّفسي كان يدّعي تقديم حلّ للّغز الّذي يطرحه الفكر الإنساني في حين أنّه لا يمتلك هو نفسه إلاّ جزءا من الجواب، وهذا ما كان

---

[1] المصدر نفسه، ص 10.

[2] المصدر نفسه، ص 11.

[3] المصدر نفسه، ص 133.

يفترض أن يقوم به فرويد وأتباعه[1]، كما ينبغي التّأكيد على الانحرافات الّتي وقع فيها ماركوز عندما فصل بين النّظرية الفرويدية وفحوصاتها العيادية،حيث اعتبر التّحليل النّفسي مجموعة تأمّلات في ما وراء علم النّفس، عن الموت وغريزة الحياة والجنسية الطفلية وغيرها[2]، أي تلك المحاولة في إنشاء فلسفة للتّحليل النّفسي مع تجاهل أساسه التّجريبي، وهو نموذج عن القراءات المشوّهة الّتي تعدّ من الأسباب المساهمة في الأزمة الّتي وقع فيها التّحليل النّفسي خاصّة وأنّها كانت مصدرا لبعض من يحاول التّعرف على أفكاره من غير مصادرها الأصلية.

عنّ الإنسان عند فرويد نظام مغلق يحكمه دافعا،دافع حفظ الذّات والدّوافع الجنسية، والثّني يجعل منه آلة أو كائنا يتحرّك فيزيولوجيا ليحقّق اللّذة، بالإضافة على ذلك هو – الإنسان – كائن اجتماعي يحتاج في إشباع الدّافعين إلى الآخر ويظهر ذلك في سلوك الطفل –حاجته على أمّه- والرّاشد على السّواء- حاجته إلى شريك جنسي- ومعنى هذا أنّ حياة الإنسان الفرويدي تقوم على إشباع الحاجات الجنسية والّتي لا تتحقّق إلاّ في إطار اجتماعي، هذا وبعد 1920 تغيّر مفهوم فرويد عن الإنسان وحلّ الصّراع بين غرائز الحياة الّتي تميل إل الاتّحاد والتّكامل (إيروس) وغرائز الموت (تناتوس) الّتي تعدّ مصدرا للتّدمير الإنساني الموجّه إمّا إلى الفرد ذاته أو إلى العالم محلّ التّعارض بين دوافع الأنا والدّوافع الغريزية.

والجديد في هذا عند فرويد هو تقديره لدور العدوانية والتّدمير الإنساني،لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يمنع نفسه من الرّغبة في التّدمير، هذا الميل متجذّر في تكوينه البيولوجيّ[3]، ولعلّ سبب هذا التّحول هو خيبة الأمل الّتي أصابت الكثيرين- ومن بينهم فرويد- من جرّاء نتائج الحرب العالمية الأولى، لقد صدمته الحرب بقسوة، ولأنّ توقّع تغييرات اجتماعية يبدو مستحيلاً، كان لا بدّ من إيجاد أسباب للمأساة داخل طبيعة الإنسان.

هذا ومن الانتقادات المقدّمة لفرويد ذلك التّفوق الّذي يمنحه للأب أو للذّكر واعتباره وحده كائن تامّ على خلاف المرأة الّتي تعدّ كائنا ناقصا تعرّض للخصاء، وليس في مقدورها أن تتجاوز هذا المصير إلاّ بقبول زوج وطفل، وهو ما جعل فرويد يتّخذ ردّة فعل ضد جون ستيوارت مل الذّي طالب بالمساواة السّياسية والاجتماعية للنّساء[4].

هذا الكلام يصدق من زاوية أخرى على الطفل، لأنّه هو أيضا كان موضوع قهر واستغلال خاصّة عندما كان ينظر إليه على أنّه ورقة بيضاء يمكن للرّاشد أن يكتب عليها ما يشاء،نظرة تغيّرت مع بداية القرن التّاسع عشر خاصة في الميدان التّربوي، والمعنى من كلّ ذلك إهمال فرويد تلك العلاقة الحميمة بين الطفل وأمّه وكأنّ ملّ شيء بينهما مرتبط بالإطار الأوديبي، وبالتّالي فكلّ حبّ بالنّسبة إليه هو حبّ شهوي، يقوم على المساواة بين الذكر والأنثى، وبذلك فهو لم يدرك أو لم يعترف حتّى أواخر حياته بأنّ الصّورة الّتي يتعلّق بها الطفل هي صورة المرأة الأمّ وليس المرأة الأنثى، هذا ما يجعل الطفل- وهو عاجز عن الدّفاع عن نفسه لأنّه بهذا المفهوم مضطهد - في المستقبل شخصية خبيثة معقّدة يلجأ إلى الثّأر من أطفاله بسبب معاناته.

---

[1] المصدر نفسه، ص 17.

[2] المصدر نفسه، ص 20.

[3] المصدر نفسه، ص 42.

[4] المصدر نفسه، ص 48.

هذا الوضع بدأ في التغيّر مع مطلع القرن التّاسع عشر وظهور مدرسة منتسوري في (Montessury) الميدان التّربوي عندما بدأ ينظر للطفل على أنّه كائنٌ حسّاسٌ متطوّر ذو خيال، لكنّ فرويد توصّل بذلك في نظر فروم إلى أن جعل من الطفل راشداً صغيراً- و"الرّاشد" يقصد بها فرويد هنا أنّ الطفل يسقط على أهله هواماته ورغباته بينما هو في الأصل لم يتعرّض لأيّ إغواء- أي كائناً مذنباً، فهو طفل صغير مجرم لا يتوصّل إلى أن يصبح كائناً إنسانياً طبيعياً من خلال نظرية اللّيبيدو[1].

بهذا أصبحت النّظرة إلى الطفل على أنّه مذنب بسبب الدّوافع الّتي تحكمه، والّتي إن لم تحلّ بطريقة مناسبة سبّبت له أمراضا عصابية ومعنى ذلك تغيّر رأي فرويد الّذي يرجع كما يقول فروم إلى إيمانه بالنّظام - هذا النّظام الّذي عارضه فرويد في البداية ثم عاد ليقف إلى جانبه- الاجتماعي وسلطته أكثر من تأثّره باكتشافاته العيادية.

هذه النقطة تشير إلى تحوّل فرويد من موقف إلى موقف، فمن دفاعه عن الطفل – حالة هانز الصغير- ينتقل إلى دفاعه عن الأهل وانحيازه لهم. في هذا السّياق تجدر الإشارة إلى ملاحظتين رئيسيتين قدّمهما فرنزي S.Ferenzi وهما في الواقع ملاحظتين بعيدتين عن تعاليم المعلّم – فرويد – وهما:[2]

الأولى: المريض يحتاج إلى محبة معالجه –طبيبه –أي محلّله والحبّ هنا ليس بالمعنى الجنسي.

الثانية: تأكيده على ما تراجع عنه فرويد وهو أنّ الرّاشدين هم المسئولون في كثير من الحالات عن إغواء الأطفال وبالتالي فالأمر ليس دائماً مسألة هوامات متجذّرة في الطفل. هذا الموقف ردّ عليه فرويد بقسوة شديدة.

نستخلص ممّا تقدّم أنّ فرويد لديه صورة معيّنة عن الإنسان فهو- الإنسان-كائن بلا ثقافة منصرف كلّياً إلى إشباع غرائزه فيحقّق سعادته، إلاّ أنّ وراء ذلك يختفي صراع لأنّ الإشباع التّام لا يتحقّق، فرغبته اللاّمحدودة تقود إلى صراع الآباء مع الأبناء وإلى قتل الأب كما في **طوطم وحضارة** حيث يربح الأبناء المعركة لكنّهم يخسرون الحرب الّتي تؤول نهايتها إلى الأب، وهو ما يوضّح تأكيد فرويد وانجذابه للسّلطة الاجتماعية، متمثّلة في الأب، أمّ النّقطة الثّانية الّتي يستخلصها فرويد فهي أنّ الثّقافة مشروطة بعدم الإشباع الجزئي للرّغبات الجنسية، هذا الأخير يؤدّي إلى التّسامي sublimation فيجد الإنسان نفسه بين موقفين: إمّا الإشباع الغريزي التام وبالتّالي البربرية، وإمّا حرمان جزئي وتقدّم ثقافي وعقلي ويكون ثمرة اختيار، أمّا الموقف الثّاني فتطوّر ثقافي مصحوب بعصابات.

نفهم من هذا أنّ التّقدم الإنساني عند فرويد يؤدّي بالضّرورة إلى القمع أي أنّ التقدّم والسعادة لا يمكن أن يتحقّقا له معا، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك – بعد الحرب العالمية الثّانية- حيث يصبح ثمن التقدم باهضاً جداً بل ومستحيلاً،لأنّ الحياة يصبح يحكمها صراع غرائز الحياة والموت الّتي يكون الإنسان مسرحا لها ممّا يؤدّي بالإنسان حتما إلى تدمير نفسه والآخرين معا[3]، ففي حالة هانز الصغير كان هذا الطفل يبدي ميولا أوديبية متعددة وهو ما بيّنته المعطيات العيادية، فالطفل قد نشأ بعيدا عن أيّ تخويف، وهو ما يتناقض والواقع الّذي كانت الأم تفرضه، فهي تهدّد بالخصاء وهو ما يخشاه، وذلك من خلال إشارات

---

[1] المصدر نفسه، ص 51.

[2] المصدر نفسه، ص 52.

[3] المصدر نفسه، ص 54.

قاسية وصريحة ولو كذباً، والكذب كما يقول فروم ليس سلوكاً تربوياً على الإطلاق، لأنّه طريقة حاذقة في السّخرية من الطفل وهو بمثابة استخدام ملتو للقوة فهاهي الأم تكذب عليه عندما يسأل عن مصدر أخته الّتي ولدت حديثا فتقول أنّ البجعة أتت بها.

المهمّ في هذا السّياق أنّ الوالدين ظنّا أنّهما يتجنبان في أسلوبهما التّربوي الأخطاء التّقليدية، بينما في الواقع يقعان فيها باستخدام وسائل العقاب والاضطهاد ذاتها.

إنّ النقد الّذي قدّمه فرويد لم يكن جذريا على الإطلاق لأنّه لم يمسّ أساس المجتمع البرجوازي وهو مبدأ القوة والتّهديد[1] الّذي تمارسه الأسرة، والأم في الواقع وليس الأب هي مصدر خوف الطفل، بل إنّ الأب عند فرويد هو مصدر حماية للطفل من تهديد الأم نفسها،وبدل أن يخافه يخافها. هذه النقطة يركّز عليها فرويد بشدّة فيصوّر علاقة الطفل بأمّه على أنّها علاقة جنسية لكنّها لا تصل إلى القوة الّتي تثير فيه كرها حادا لوالده، وقد أوحى فرويد بأنّ هذا الارتباط بالأم تسبقه صلات ما قبل تناسلية،تبدأ من الرّضاعة – ارتباطه بالثّدي – أي إشباع رغبة الغذاء، لتكتمل تدريجيا مع ملاعبة الأم لطفلها بما تثيره فيه من أحاسيس جسدية لطيفة ومزعجة في آن معا، وبذلك تصير الأم أوّل موضوع للحب وأكثر قوة[2]، والواقع أنّ هذا الارتباط إنّما هو ارتباط عاطفي عميق يمثّل الأمن والحماية.

إنّ الخوف عند هانز حسب **فروم** – وهو يعتمد في ذلك على تحليلات فرويد – يعود إلى سببين رئيسيين: أوّلهما الخوف من الخصاء وبالتّالي الخوف من الأم لأنّها هي الّتي تهدّد به، وثانيهما، الخوف من الموت لأنّ هانز شاهد دفناً وحصاناً ملقى على الأرض ظنّه ميتا،والموت كما يقول فرويد حدث شديد القسوة في حياة الطفل.

هذه النقطة يركّز عليها فروم في نقده لفرويد، فيرى أنّ الخوف من الخيول يرتبط بالأم وليس بالأب كما يفسر فرويد، وهو يخفي ميولا عدوانيا مكبوتا نحوها،وذلك بسبب تهديداتها خاصّة بعدما ولدت فتاة – أخت هانز – منافسة، وهو يستند في ذلك إلى حوار جرى بين الأب وابنه يعكس رغبة هانز في ضرب الحصان بمقرعة السّجاد الّذي كانت أمّه تهدده بها، وذلك إشارة إلى تماثل الحصان مع والدته والعداوة الموجّهة نحوها، بل وكما يعتقد فرويد باحتمال وجود رغبة متكتّمة وسادية نحو الأم[3].

لكن كيف نفسّر العداوة تجاه الأب؟

يؤكّد فروم أنّ فرويد نفسه مارس إيماءات معيّنة إلى هانز الصغير، فالحوارات الّتي كان يجريها معه كطبيب معالج كان فيها دائما إيحاءات بالجواب الّذي يفترض أن يقدّمه الطفل ليتناسب مع النّتيجة الّتي يريد فرويد الوصول إليها. هذه العلاقة في نظر فروم لا تعبّر عن كراهية على الإطلاق إذا استبعدنا عقدة أوديب من مقدّماتنا،فمن أكثر الرّغبات شيوعا لدى الطفل – وهانز في الخامسة من عمره – أن يصبح بالغا ويتخلّص من سلطة الكبار البالغين عليه.هذه النّقطة كما بيّنته التجربة العيادية لدى فرويد توضّح أنّ الميل لتحويل وضعي سلبية إلى وضعية نشطة هو طاقة قويّة تقف وراء العديد من الرّغبات عند الطفل والبالغ على حد سواء[4]، والمعنى أنّه بمعزل عن عقدة أوديب تكون العلاقة بين هانز ووالده علاقة ثقة وصداقة.

---

[1] المصدر نفسه، ص89.

[2] المصدر نفسه، ص 91.

[3] المصدر نفسه، ص 93.

[4] المصدر نفسه، 96.

هذا ويتحدّث **فروم** عن ميل المجتمعات الرأسمالية إلى النّظام الأمومي الّذي تعمل التّقنية وثقافة الاستهلاك على استيعابه، فالتقدّم التّكنولوجي جعل إشباع كلّ الرّغبات عملا فوريا وأكيدا، فأصبحت التّقنية بديلاً عن الأم الطّبيعية، هذا الواقع في نظر **فروم** يعبّر في الحقيقة عن نكوصٍ أي تقهقراً وعودة إلى الخلف، إلى مرحلة طفلية، وذلك ما يوضّحه هاجس المخدرات كموقف سلبي، والحاجة إلى الالتصاق والتّماس الجسدي[1].

بالإضافة إلى ذلك أنّ الفكرة الجديدة تصحّح رأي فرويد وتعتبر أنّ هناك ارتباطاً قوياً ما "قبل أوديبي" بين الرّضيع والأم بغضّ النّظر عن جنس الطفل، والمبدأين – الأبوي والأموي – كما يبيّنه التّاريخ توجها بحدّة باعتبار الثّاني هيمنة ورقابة والأوّل يمثّل التّشديد على طفلية الطفل وإعاقة نضجه.

كما أنّ الرّغبات الجنسية تتحرك داخل الإنسان، وتسبّب له الممنوعات الأخلاقية مشاعر ذنب يكون لها في الواقع أهمّية كبيرة، وهو ما يدل على أنّ الميول الجنسية للكائن الحيّ – الإنسان – هي في الواقع جزء من القوى المنتجة للمجتمع، ولابدّ لها أن تتكيّف مع الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع، فالبنية النفسية للأفراد تشكّل في نظر فروم ركيزة لا غنى عنها لاستمرار الثّبات الاجتماعي، ورغم اختلاف التّكوين النّفسي للأفراد لارتباطه بتجارب الطفولة الّتي تكتسي طابعا شخصيا، فإنّ جزء كبيرا من بنية الإنسان النفسية هو نتيجة تكيّف يحقّقه مع طبقته والمجتمع الّذي ينتمي إليه[2].

لقد استطاع فرويد أن يكشف إحدى أهمّ السّمات للبنية النفسية لعقدة أوديب حيث العلاقة مع الأب هي العلاقة المركزية،فالطفل يكره أباه ويحبّه في آن معا،فهو يعتبره خصما نظرا لميوله الجنسية نحو أمّه باعتبارها تشكّل بالنّسبة إليه أوّل موضوع للحب،فيعتبر والده خصما عنيدا لأنّه يمثّل له الممنوعات الأخلاقية،ممّا يجعله يحول التمرّد عليه، وفي اللّحظة ذاتها يكون هذا التقمص مصدرا لتكوين وعي الطفل. إنّه يحبّه ويتمرّد عليه في آن معا.

ويضيف فروم أنّ سلوك الطفل يقابله شعور بالغيرة من طرف الأب من جهة وإلى أمله المنتظر في الإبن من جهة ثانية،،فهذا الأخير هو وريثه من النّاحية الاقتصادية والاجتماعية وسنده إن شئنا، لأنّ الوظيفة الّتي سيحتلّها الطفل كإبن ستعزّز مكانة الأب اجتماعيا وهو ما قد يتسبّب في تعارض بين سعادة الإبن وبين فائدته، لأنّه قد يعيق تطوّره الشّخصي[3].

إنّ الأب يحب الإبن شريطة أن يستجيب لما يتوقّعه منه، هذه العاطفة يمكن أن تؤدّي إلى نتيجتين: أولاهما فقدان الاطمئنان النفسي وثانيهما الوقوع في هاجس إنجاز الواجب المطلوب الّذي يخلق مشاعر الذنب، لأنّ ما يقوم به الإبن يكون دون المستوى دائما، هذا في حين أنّ حبّ الأم خاصّة في السّنوات الأولى من الحياة حبّ غير مشروط، والمعنى من ذلك أنّ لا شرطية حبّ الأم يضعف من الخضوع للأوامر الأخلاقية.

يتّضح ممّا تقدّم أنّ هناك فرقا جليّا بين الحبّ الأبوي المشروط والحبّ الأموي الّذي يحقّق اللّذة والسّعادة، حيث يمثّل إنجاز الواجب في الأوّل والنّجاح شكلا محرّكا للحياة، فيمثّل بذلك أحد أكثر القوى المنتجة الّتي تعمل خلف الجهود الاقتصادية والثّقافية الواسعة للرّأسمالية وبالتّالي في المجتمع البرجوازي البروتستنتي، بينما يمثّل المركّب الثّاني – الأمومي – في نظر فروم والذّي يهيمن على البرنامج الاشتراكي،أساسه النفسي حيث يكون الحق في

---

[1] المصدر نفسه، ص 102.

[2] المصدر نفسه، ص 123.

[3] المصدر نفسه، ص 126.

السّعادة عاما وغير مشروط إذ يحصل كلّ فرد على ما يحتاجه وذلك مهما كان موقعه في سياق الإنتاج.

إنّ منهج فرويد التّحليلي هو منهج تاريخي أساساً لأنّه يرتبط بالحياة التّكوينية للطفولة، وكذلك بالتّجربة المعاشة وقد اهتمّ فرويد في بداية الأمر بعلم النفس الفردي، ولكن، ولأنّ السّلوك الإنساني تحرّكه الغرائز واللاّوعي فقد بات من الضّروري التطرّق إلى علم النفس الاجتماعي أي البحث عن خلفيات السّلوك الاجتماعي، باعتبار المجتمع يتألّف من أفراد.

من هذا المنطلق يرى فروم انّه يحقّ لنا أن نتساءل عن مدى المساهمة الّتي قدّمها التّحليل النّفسي في تطبيقه على المشاكل الاجتماعية، "ففي الحياة النفسية للفرد يحضر الآخر بشكل منتظم كنموذج وموضوع مساعد وخصم"، وذلك على اعتبار أنّ المجموعة ليست في الواقع سوى مجموعة أفراد، والمعنى أنّ موضوع علم النفس هو الفرد في إطاره الاجتماعي ما دام الوسط يلعب دوراً حاسماً في تطوّره النفسي، وبالتّالي فقد أقرّ بمشروطية الغرائز فيزيولوجياً وبيولوجياً وإمكانية تحوّلها بواسطة عامل الوسط أي المجتمع.

بهذا صار التّحليل النفسي منهجاً صالحاً لأبحاث علم النّفس الاجتماعي، وبالتّالي فإنّ علم النّفس التّحليلي هو إذن كما يقول فروم إدراك البنية الغرائزية لجماعةٍ ما وموقفها اللّيبيدي اللاّواعي من خلال بنيتها الاجتماعية الاقتصادية[1]، في هذا السّياق تلعب الأسرة دوراً أساسياً باعتبارها الممر الّذي يعبر المجتمع من خلاله إلى الطفل، وبذلك فهي تقدّم لنا الطّريقة الّتي يؤثّر بها المجتمع على سيكولوجية الطفل.

خاتمة:

هذا، غير أنّ الخطأ الّذي ارتكبه التّحليل النفسي أي الباحثون فيه هو ربط أحكامهم بل ونماذج دراساتهم بالمجتمع البرجوازي الرّأسمالي حيث المرضى من طبقةٍ واحدةٍ وبنيتهم الاجتماعية والعائلية متماثلة، ففي هذا المجتمع تكون البنية الأبوية ملازمة له وبالتّالي بنية طبيعية، بذلك وقعنا في نظر فروم في تجاوزٍ خطيرٍ لأنّنا عمّمنا ما وجدناه في مجتمعٍ خاصّ – المجتمع البرجوازي – على جميع أشكال المجتمعات الممكنة، فتعاملنا مع مجتمعٍ كما لو كنّا نتعامل مع الإنسانية كلّها.

---

[1] المصدر نفسه، ص 139.